مخطوط مصور

فى تعليم فنون القتال والفروسية من أواخر عصر المماليك الجراكسة (*)

(تقرير تمهيدى)

بقلم محمد مصطفى

فى النـدوة الدوليـة التى انعقـدت فى أواخر شهر مارس ١٩٦٩ ، بمناسبة العيد الألفى لمدينـة القاهرة ، تحدثت عن هذا المخطوط ، لمجرد التعريف به ، وبما له من اهمية كبيرة فى التاريخ الحربى للفترة الاخيرة من دولة المماليك الجراكسة .

وذكرت فى ذلك الحديث اننى أصبحت اعرف ثمانى صـور فقط ، من الصـور الملونة الست والاربعين ، التى كانت توضـح متن هـذا المخطوط الثمين .

وبمناسبة الندوة الدولية المذكورة ، وجهت نداء الى دور الكتب ، والمتاحف ، وأصحاب المجموعات الفنية الخاصة ، فى محاولة لاعادة تجميع اوراق هذا المخطوط ، وما يحويه من صور ورسوم ، لدراستها ونشرها ، والافادة منها فنيا وعلميا ولغويا .

وانه ليسعدنى اليوم ان اعلن ، أن احد أصحاب المجموعات الخاصة الممتازة للتحف الاسلامية — فى لندن — وهو الدكتور ادموند دى أونجر ، قد استجاب لهذا النداء — مشكورا ومتطوعا — وجاء الى القاهرة قبل ثلاثة أسابيع ، فى أوائل شهر يناير الماضى (١٩٧٠) ، وسلمنى خمس وعشرين صورة فوتوغرافية ، لخمس وعشرين صفحة من صفحات المخطوط ، يوضح المتن فى كل منها صورة من الصـور الملـونة التى تزين ما يملكه من أوراق المخطوط . وأخبرنى سيادته أنه قد اقتنى ما استطاع أن يحصل عليه من الأوراق ، مما كان محفوظا فى بعض المجمـوعات الفنيـة الأخرى ، فى سويسرا ، وفى باريس ، وفى غير ذلك من البلاد ، ويهدف بذلك أن يجمع كل ما يسـتطيع الحصـول عليه ، فأصـبح يملك القسـم الأكبر من أوراق المخطوط وصوره .

(*) ألقى هذا البحث فى المجمع العلمى المصرى بالقاهرة فى يوم الاثنين ٢ من فـبراير سنة ١٩٧٠ باللغة العربية . انظر ترجمة له باللغة الانجليزية فى الجانب الافرنجى فى هـذا العدد .

ويسرنى ان انتهز هذه المناسبة لأبعث الى الدكتور ادموند دى أونجر اخلص الشكر على استعداده الطيب ،وتعاونه العلمى المفيد ، فاننى بفضل مساعدته هذه ، سوف أستطيع دراسة المخطوط واعداده للنشر فى المستقبل القريب .

والواقع ان موضوع هذا المخطوط ، وهو تعليم فنون الحرب والقتال والفروسية ، ليس بالغريب علينا ، فاننا نعرف عناوين عدد كبير من المخطوطات التى تبحث فى موضوعات تتعلق بفنون القتال والفروسية عند العرب .

— ولعل أول المراجع التى تذكر عناوين مثل هذه المخطوطات ، هو كتاب باللغة العربية كتبه Alois Springer بعنوان « فهرست الكتب التى نرغب أن نبتاعها » ونشره فى لندن فى سنة ١٨٤٠ ، وهو المعروف باسم Munster Fihrist لأنه جمعه تحقيقا لرغبة اللورد Munster الذى كان يعمل فى الهند ، وذكر فيه أكثر من سبعمائة عنوان لمخطوطات تبحث فى هذا الموضوع .

— وفى سنة ١٨٤٨ كتب M. Reinaud بحثا بعنوان :

De l'art militaire chez les Arabes au Moyen âge

ونشره فى مجلة Journal Asiatique.

— وهناك أبحاث متعددة ، كتبت فى القرن العشرين ، ووردت فيها عناوين لمخطوطات فى فنون القتال والفروسية ، واننى أذكر هنا بعض هذه المراجع ، على سبيل المثال فقط ، وليس للحصر ، ويسرنى ان اقرر اننى رجعت اليها عند كتابة هذا البحث ، واننى أفدت كثيرا من ذلك .

— ومن هذه المراجع كتاب :

Louis Mercier, *La parure des cavaliers et l'insigne des preux*, Paris 1922-1924.

وقد حقق فيه ونشر وترجم كتاب على بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسى : حلية الفرسان وشعار الشجعان ، وهو الذى كان ابن هذيل قد كتبه للسلطان محمد الخامس سلطان غرناطة ، وذلك فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر .

كما نشر Mercier كتابا آخر عنوانه :

La chasse et les sports chez les Arabes, Paris 1927.

— وعلق Helmut Ritter على الكتاب الاول فى بحث نشره فى مجلة Der Islam فى سنة ١٩٢٩ بعنوان :

La Parure des Cavaliers und die Literatur der ritterlichen Künste

وذكر *Ritter* فى هذا البحث عناوين حوالى ستين مخطوطا آخر ، لم تكن معروفة من قبل ، جمعها فى دور الكتب بمدينة استانبول .

— ثم نشر *Brockelmann* عناوين عدد آخر فى موسوعته :
Geschichte der arabischen Literatur.

— وكتب عزيز سوريال عطية كتابه :
The Crusade in the later Middle Ages
ونشره فى لنـدن فى سنة ١٩٣٨ ، كما القى محاضرتين اخريين فى جامعـة شيكاجو فى سنة ١٩٥١ ، بعنوان :
The Crusades, Old Ideas and New Conceptions

— وفى سنة ١٩٥٥ كتب عبد الرحمن زكى بحثا فى مجلة : Cahier d'histoire Egyptienne عنوانه : *Military literature of the Arabs*

— وله بحث آخر عنوانه :
A Preliminary Bibliography of Medieval Arabic Military literature
نشره فى مجلة Glaudius بمدريد فى سنة ١٩٦٣ .

— ثم ما كتبه فى فصل « فن الحرب » فى كتابه : تراث القاهرة العلمى والفنى ، الذى نشره فى سنة ١٩٦٩ .

— وفى سنة ١٩٥٧ نشر Gerhard Zoppott فى مجلة :
Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes,
بحثا بعنوان : *Mohamed ibn Mângli, ein âgyptischer :*
Offizier und Schriftstellers des vierzehuten Jahrhanderts,

وكان Zoppoth قد حصل على درجة الدكتوراه من جامعة فيينا فى سنة ١٩٥٢ برسالة لم تنشر حتى الآن ، حقق فيهـا مخطوطا عنـوانه : مدخل فى الفروسية او سياسة الحروب لأرسطو .

— وفى لندن سنة ١٩٥٦ نشر David Ayalon كتابه :
Gunpowder and Firearms in the Mamluk Kingdom, a challenge to a medieval society :

— ومن أبحاثه الاخرى البحث الذى نشره فى سنة ١٩٦١ بعنوان :
Notes on the Furusiyya Exercises and Games in the Mamluk Sultanate :

— كما نشر مقالا عن الفروسية عند المماليك فى دائرة المعارف الاسلامية بعنوان :
Furusiyya in the Mamluk State, E.I., Vol. II, 1965, p. 954-955,

— وفى سنة ١٩٦١ نشر George T. Scanlon.
فى مطبوعات الجامعة الامريكية بالقاهرة ، كتابا بعنوان :
A Muslim Manual of War,
الذى حقق فيه ونشر وترجم كتاب : تفريج الكروب فى تدبير الحروب ، تاليف عمر بن ابراهيم الأوسى الأنصارى الذى توفى سنة ١٤٠٨ .

ـ وكان George T. Scanlon قد القى بحثا فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد فى موسكو فى سنة ١٩٦٠ ونشر فى سنة ١٩٦٣ بعنوان :
Source Material for a History of Medieval Moslem Warfare.

ـ وأخيرا نذكر البحث الذى نشره J.D. Latham بعنوان :
Notes on the Mamluk Horse-Archers, in : BSOAS, Vol. XXXII, part 2, 1969.

والمخطوطات التى وردت عناوينها فيما ذكرناه من مراجع ، ترجع الى عصور مختلفة ، يبدأ اهمها من عصر الحروب الصليبية ، فى أواخر القرن الثانى عشر ، واهتمام العرب بتنظيم جيوشهم ، وادوات القتال والحصار ، والاسلحة التى استعملوها للتغلب على الصليبيين .

وبعد ذلك أصبحت فنون القتال والفروسية دراسة منتظمة فى مصر فى عصر المماليك . فكتب نجم الدين أيوب الأحدب الرماح ، الذى توفى سنة ١٢٩٤ م ، كتابه : الفروسية برسم الجهاد ، فكان مرجعا للكثيرين من المؤلفين الذين كتبوا فى هذا الموضوع .

والثابت أن اغلب المخطوطات المعروفة ، يبحث الواحد منها فى احد الموضوعات ، مثل : الرمى بالسهام ، واستعمال السيف والترس ، او الرمح. والتدريب على استعمال الرمح كان موضوع مؤلفات متعددة ، نذكر منها كتاب : الفروسية وعلم الرمح ، تأليف بدر الدين بكتوت الرماح الخازندارى ، الذى توفى سنة ١٣١١ م .

ومن أهم المخطوطات المعروفة حتى الآن ، التى تبحث بصفة شاملة فى فنون الحرب والقتال والفروسية ، كتاب : نهاية السؤل والامنية ، فى تعليم اعمال الفروسية ، تأليف محمد بن عيسى بن اسماعيل الحنفى الأقصراى ، كتبه فى الربع الأخير من القرن الرابع عشر ، وقسمه الى اثنى عشر بابا ، وقد حققه الطالب الباكستانى عبد الليث سيد محمد لطف الحق ، وحصل به على درجة الدكتوراه من جامعة لندن فى سنة ١٩٥٥ ، ولكن هذه الرسالة لم تنشر حتى الآن .

واننا نعلم ـ من المراجع التى ذكرناها والعناوين التى وردت بها ـ انه توجد مخطوطات كثيرة عن فنون الحرب والفروسية ، محفوظة فى دور الكتب والمتاحف العالمية ، ومن بينها دار الكتب المصرية ، ومجموعة قسم المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة .

ولكننا نلاحظ انه لم يحقق أو يدرس حتى الآن من هذه المخطوطات ـ الكثيرة جدا ـ سوى أربعة فقط :

١ ـ أحدها اندلسى ، وهو كتاب : حلية الفرسان وشعار الشجعان ، ويرجع الى القرن الثامن الهجرى (١٤ م) ونشره Mercier فى باريس فى سنة ١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ .

٢ ــ والثانى كتاب : سياسة الحروب ، نسخ فى القرن السابع عشر عن كتاب لأرسطو بأمر من السلطان العثمانى محمــد بن السلطان مراد ، وقام بتحقيقه ودراسته Gerhard Zoppoth وحصل به على درجة الدكتوراه من جامعة فيينا فى سنة ١٩٥٢ ، ولكنه لم ينشره حتى الآن .

٣ ــ والثالث كتاب : نهاية السؤل والأمنية فى تعليم أعمال الفروسية، من الربع الأخير للقرن الرابع عشر الميلادى ، وحققه الباكستانى عبداللليث سيد محمد لطف الحق ، وحصل به على درجة الدكتوراه من جامعة لندن فى سنة ١٩٥٥ ، ولم ينشر حتى الآن .

٤ ــ والرابع كتاب : تفريج الكروب فى تدبير الحروب ، وقد توفى مؤلفه فى سنة ١٤٠٨ ، وحققه ونشره مع ترجمته George T. Scanlon من مطبوعات الجامعة الامريكية فى القاهرة سنة ١٩٦١ .

ومما أوضحناه يتبين أن المخطوطات التى تبحث فى موضــوع فنون الحرب والقتــال والفروســية ، ما تزال تحتــاج الى دراســات كثيرة تتضمن :

أولا : عمل ثبت كامل يشمل عناوين المخطوطات التى وردت فى المراجع التى ذكرناها ، وفى غيرها من المراجع ، وبيانات موجزة عن محتويات كل مخطوط ، ومؤلفــه ، ومكان حفظــه ، والمراجع التى ذكر فيها ، والنســخ الاخرى التى نقلت عنه ، وأماكن حفظ كل منها ، وغير ذلك من بيانات .

ثانيا : دراسة بعض هذه المخطوطات وتحقيقهــا ونشرها ، لما لها من اهميــة قصوى فى التــاريخ العربى بصــفة عامة ، وتاريخ عصر المماليك بمصر بصفة خاصة ، وهم الذين اســتطاعوا أن يردوا جيــوش المغــول ، وان ينتصروا على الصليبيين ، بفضــل تنظيمــات جيوشــهم ، وتدريباتهم العسكرية .

ثالثا : دراسة انواع الأسلحة والأدوات الحربيــة ، التى يرد ذكرها وأوصافها فى المتن ، وبيان طرق استعمالها وتطورها .

رابعا : دراسة فنيــة للصور التوضــيحية الملونة التى تزين هــذه المخطوطات ، وما نراه فى هذه الصــــور من أزياء وملابس وتقاليــد ، مما كان شائعا فى فترات التاريخ المختلفة ، مع دراســة الأساليب الفنيــة وتطورها .

خامسا : دراسة المفردات والألفاظ والمصطلحات الفنيــة واللغــوية التى ترد فى هذه الكتب ، فاننا أحيانا نعجز عن تحقيق بعض هذه المفردات، لعدم ورودها فى المعاجم والقواميس التى نعرفها .

وليس من شك فى أنه سوف تتفرع عن هذه الدراسات دراســات اخرى ، تفتح لنا آفاق كثيرة فى التاريخ ، والفنون ، والعلوم ، وفنون الحرب

والفروسية ، والمصطلحات الفنية واللغوية .

ونلاحظ ان شيئا واحدا تتفق عليه كل هذه المخطوطات ، وهو انها جميعا تخلو من ذكر اى شيء من الأسلحة النارية ، ونعنى هنا المدافع والبنادق التى تطلق الرصاص . فان عددا كبيرا من هذه المخطوطات كتبت فى أوائل او أواخر عصر المماليك الجراكسة ، ومع ذلك فانها لم تذكر اية معلومات عن هذا النوع من الأسلحة .

والمعروف أن المماليك استعملوا الأسلحة النارية فى أوائل السبعينيات من القرن الرابع عشر ، وكانت مصر اول دولة فى الشرق الأوسط استخدمت هذا النوع من السلاح ، وبتفوق كبير ، هذا ويوجد مدفع باسم السلطان قايتباى محفوظ فى المتحف الحربى باستانبول . (اللوحة ٢٠) .

ولكن المماليك لم يهتموا كثيرا بالتدريب على الأسلحة النارية ، ويبدو انهم كانوا يكرهون استعمالها بأنفسهم ، فكانوا يتركون ذلك للجنود من التراكمة والمغاربة ومن العبيد السود ، وكانت الشجاعة الشخصية ، والبراعة فى استعمال الأسلحة الاخرى ، والفروسية ، من صفات الرجولة فى القتال عند المماليك .

وقد كان هذا هو السبب الاساسى لانتصار العثمانيين على المماليك وغزوهم لمصر لما كانوا يستعملونه من اسلحة نارية ــ تفوقوا بها فى سهولة على شجاعة المماليك .

ويقول الرحالة الالمانى أرنولد فون هارف (١) ، الذى زار القاهرة فى طريقه الى بيت المقدس فى سنة ١٤٩٧ ، وشاهد الثورة التى قام بها الأمير قانصوه خمسمائة على السلطان الناصر محمد بن قايتباى ، يقول فون هارف ان الامير قانصوه كان معه مدفعا صغيرا لا يستطيع ان يهجم به على القلعة ، وانه لو كان عنده مدافع أخرى مثل التى عندنا (فى المانيا) لاستطاع أن يتغلب عليه بسرعة .

ويؤيد فى ذلك المؤرخ ابن أياس فى كتابه بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، فيقول انه نصب مكحلة على الجبل المقطم تجاه القلعة ،وأرمى بها على الحوش السلطانى ، فلم يفد من ذلك شيء (٢)

غير أن هذه المخطوطات تذكر المواد الاخرى القابلة للاشتعال او الانفجار ، مثل النفط والبارود ، وتصف كيفية استعمالهما ، والتدريب على ذلك ، (انظر فى بيان اللوحات اللوحة رقم ٨) .

---

(١) *Die Pilgerfahrt des Ritters* **Arnold von Harff, in den Jahren 1496 bis 1499, Cöln 1860. S. 87-88.**

(٢) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، ج ٣ ص ٣٤٣ .

والمخطوط الذى نحن بصدده يتفق الى حد كبير فى جميع هذه المسائل مع المخطوطات الاخرى ، ولكنــه يمتاز عنها جميعا فى انه يعتبر موســوعة مفصلة لجميع موضوعات فنون الحرب والقتــال والفروسية ، كمــا انه يمتاز بالعدد الكبير من الصور الملونة التى توضح المتن ، وهو عدد لا يوجد مثله فى اى مخطوط آخر .

وفى مقال كتبه السيد / عيسى المعلوف فى سنة ١٩٢٨ ، يصف فيه المخطوط والحالة التى كان عليها حينذاك ، قبل ان تتناثر اوراقه فى عدة بلاد ، فيقول : وقفت على كثير من المؤلفات فى فنون الحرب والفروســية والالعاب عند العرب ، واقتنيت بعضها مصورة ، ولكننى رايت أهمها هذا الكتاب — ثم يقول ان المخطوط كان يتألف من ١٨٤ صفحة ، وكان يحوى ١٦ رسما مخططا لتعبئة الجيوش ، وكذلك ٤٦ صورة ملونة بديعة لتوضيح موضــوعاته ، وانه كان كراريس محلولة ، خرمت وجلدت بدون ترتيب ، وكان فيه خروم ونقص فى اوراقه .

واننا نشكر للسيد / المعلوف جهوده التى بذلهــا ليحافظ لنــا على تراث عربى مصرى ثمين . والواقع أن ما كتبه هو الوصف الوحيــد الذى استطعت أن أحصل عليه للحالة التى كان عليها هــذا المخطوط فى ســنة ١٩٢٨ . واننى لا أريد هنا أن أناقش ما جاء — غير ذلك — من تعليقــــات وشرح فى هذا المقال ، واترك ذلك لمجال آخر .

وهذا المخطوط كان قد اشتراه أحد تجار الآثار فى سنة ١٩٢٨ وفى سنتى ١٩٥٥ و ١٩٥٦ باع منه لمتحف الفن الاســلامى بالقــاهرة ، ثلاث ورقات (١) ، على كل منها صورة توضيحية بالألوان . ثم باع ثلاث صــور اخرى (٢) لأحد أصحاب المجموعات الفنية الخاصة . ولما تنبهت الى ذلك

---

(١) تسجلت هذه الاوراق الثــلاث فى المتحف بالارقــام ١٨٠١٩ و ١٨٢٣٥ و ١٨٢٣٦ ونشرتها فى سنة ١٩٥٨ . انظر : محمــــد مصطفى ، دليل معرض الوحدة فى الفن الاسلامى ، ص ٢٦ والصور ١٦ و ١٧ و ١٨ .

وفى شهر ابريل من سنة ١٩٦٩ نشر وصف للصورتين ١٨٠١٩ و ١٨٢٣٥ فى دليل معرض الفن الاسلامى الذى اقيم فى فندق سميراميس بمناسبة العيد الالفى للقاهرة ، وقد ذكر فى هذا الوصف أن هذه الصور من مخطوط فى الفروسية وأن الاشخاص فيها يلبسون الزموط على رءوسهم ، ومع ذلك فقد كتب أن تاريخ هذه الصور هو القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) .

أنظر :

Exhibition of Islamic art in Egypt, 969-1517, 4-30 April 1969, Semiramis Hotel, No. 279 a and 279 b, p. 292 and 293.

(٢) نشرت احداها فى سنة ١٩٦٠ فى مجلة بستان التى تصدر فى فيينا ، انظر :

Mohamed Mostafa, *Parstelling des toglichen lébens in der Islamischen Kunst*. In : Bustan, Hept 2, S. 33-48, abl. 23.

لم أجد عند تاجر الآثار سوى صورتين فقط وبضعة أوراق ، وقال لى انه باع الباقى فى بلاد مختلفة ، وسمح لى بتصوير الصورتين الباقيتين ونشرهما (اللوحتان ١٥ و ١٦) .

وهكذا أصبحت أعرف ثمان فقط من الصور التوضيحية الملونة التى كانت تشرح أبواب هذا المخطوط .

ومؤلف المخطوط وكذلك عنوان كتابه ، غير معروفين ، وذلك بسبب ضياع الصفحات الاولى والاخيرة من المخطوط . ولم استطع حتى الآن الاستدلال على اسم المؤلف ، أو على عنوان كتابه ، فى أى من المراجع العامة التى تبحث فى شئون المخطوطات .

ومقاس الصفحة فى المخطوط يبلغ ١٦٫٥ × ٢٤ سم ، وعلى كل صفحة ١٥ سطرا . ورءوس الموضوعات مكتوبة بالمداد الأحمر ، والمتن الآخر بالمداد الأسود . والكتابة بالخط النسخ المملوكى ، وهى واضحة يمكن قراءتها فى سهولة ، ولكن الناسخ يسرف فى وضع علامات الضبط والشكل دون مبرر ، ودون أى اعتبار لقواعد الاملاء .

ومن أبواب المخطوط : ركوب الفرس ، وركوب المهر وتعليمه ، لعبة الدبوس ، الرمى بقوس الرجل على الفرس ، اوزان القسى ومعرفتها ، شيل السيف ، شيل الرمح ، لعب الترس على الأرض والفرس ، رمى القبق من على الفرس وهو ساير ، الرمى بالرمح ، ركوب الفرس عريانا بغير سرج ، صفة عمل دبوس اذا ضرب بهخوذه كسرها ، رمى النشاب وما يكون عيبا فى القوس ، كما يتحدث مؤلف المخطوط عن فنون النفط ، وكذلك عن المدفع والبارود وطريقة استعمالهما ، وغير ذلك من أبواب كثيرة فى أوصاف الأسلحة المختلفة ، وطرق استعمالها ، والتدريب عليها ، وحفظها ، مع عمل رسوم توضيحية لهذا الغرض .

وقد ثبت عندى ، من دراسة الأوراق والصور التى نعرفها من هذا المخطوط ، انه كتب فى مصر فى أواخر عصر المماليك الجراكسة ، وفى الغالب فى عصر السلطان قانصوه الغورى قبيل الفتح العثمانى ، وذلك للأسباب الآتية :

أولا : ان الالفاظ والمصطلحات الفنية واللغوية التى تقابلنا فى متن الكتاب ، هى مصطلحات والفاظ نعرفها من كتب المؤرخين الذين كتبوا عن مصر فى أواخر عصر المماليك .

ثانيا : الأسلوب اللغوى الذى تتخلله كلمات باللغة العامية ، يشبه تماما أسلوب ابن اياس مؤرخ هذه الفترة .

ثالثا : أسلوب الخط يشبه فى قاعدته وأصوله الخط فى المخطوطات التى ترجع الى هذا العصر .

رابعا : كان المصور ـ الذى رسم الصور التوضيحية فى المخطوط ـ حريصا على استعمال الملابس المناسبة للأشخاص الذين رسمهم ، وتلوينها فى أغلب الأحيان بالألوان الأصلية المفروضة لها . فقد كان المماليك ، الذين ما زالوا تحت التدريب فى أواخر عصر المماليك الجراكسة ، يلبسون رداء اسمه « كبر » أثناء تدريباتهم العسكرية فى الطباق ، وكان لهم رداء آخر للخروج به الى الشوارع اسمه « ملوطه » (والجمع ملاليط كما كانوا يلبسون على رءوسهم زمطا أحمر (والجمع زموط) .

ونحن نعرف ان الزمط خصص للمماليك منذ منتصف القرن التاسع الهجرى (١٥ م) ، بأمر من السلطان برسباى ، اورده ابن اياس فى بدائع الزهور ، وكان ذلك فى سنة ٨٤١ هجرية (١٤٣٨ م) ، فمنع عامة الشعب والفلاحين من ارتداء الزموط على رءوسهم ، وجعل ذلك قاصرا على المماليك وحدهم . (بدائع الزهور ، طبعة بولاق ، ج ٢ ص ٢١) .

كما أننا نقرأ أيضا فى بدائع الزهور لابن أياس أنه صدر للمماليك أمر من الحاكم العثمانى فى شهر رمضان سنة ٩٢٣ (١٥١٧ م) يمنعهم من ارتداء ملابس الجنود العثمانيين ، وان يقتصروا فى زيهم على الزموط الحمر والملاليط عند سيرهم فى شوارع القاهرة . (بدائع الزهور ، تحقيق محمد مصطفى ، ج ٥ ص ٢١٣ س ١٤ ـ ٢٠) .

ونرى الزموط يلبسها المماليك على رءوسهم فى صورة رسمها أحد المصورين من مدرسة المصور جنتيلى بللينى ، محفوظة فى متحف اللوفر ، صور فيها حفل استقبال السلطان قانصوه الغورى ، فى الحوش السلطانى بقلعة القاهرة ، لبعثة من مدينة البندقية برئاسة دومينيكو تريفزيانو ، جاءت تسترضى سلطان مصر فى سنة ١٥١٢ ، (اللوحة ١٨) .

كما رسم الرحالة Arnold von Harff فى كتابه ص ١٠٤ صورة لمملوك واقف ، يلبس زمطا على رأسه ، (اللوحة ١٧) .

ومما نقرأه من وصف الزمط نعلم أن لونه أحمر ، وأن له وبر ظاهر فى جميع الصور التى نعرفها ، وكذلك فى الصور التوضيحية التى تزين المخطوط .

ويوجد زمط محفوظ فى المتحف القبطى بالقاهرة (اللوحة ١٩) ، نشره L.A. Mayer فى كتابه : ***Mamluk Costume,*** p. 33 Pl. XI, 2.

والمخطوط له أهمية كبيرة فى دراسة التدريبات العسكرية للمماليك ، وانواع الملابس والأزياء التى كانوا يرتدونها ، والوانها ، وأوصافها ، ورسوم الأسلحة وطرق استعمالها ، وانواع الخيول ووسائل تعليمها ، وتعبئة الجيوش وتنظيمها ، والحالة العسكرية التى كانت عليها دولة المماليك الجراكسة فى مصر قبيل الفتح العثمانى .

وهذا المخطوط هو الوحيد من نوعه الذى نعرفه حتى الآن ، وهو يكمل البيانات التاريخية والعسكرية ، والمصطلحات الفنية واللغوية التى وردت فى كل من : بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن اياس ، ومفاكهة الخلان فى حوادث الزمان لابن طولون الصالحى ، وكذلك فى كتاب ابن زنبل الذى كتب عن الفتح العثمانى للشام ومصر .

ملاحظات

وبيان اللوحات المنشورة مع الترجمة الانجليزية لهذا البحث في الجانب الافرنجي من هذا العدد

اللوحات من ١ الى ١٤ هي رسوم أو صور توضح المتن ، نقلناها هنا عن صفحات المخطوط ، من القسم المحفوظ في مجموعة الدكتور ادموند دي اونجر في لندن .

اللوحة ١ : « ميدان سياج الملوك وسراج الملوك صنف بخراسان » . وهو مخطط لتعبئة الجيش استعدادا للمعركة ، يشرح فيه مؤلف المخطوط ترتيب وقوف السلطان في الوسط ، وحوله صفوف العساكر ، وكل صف له باش أي رئيس . ويرأس هذا المخطط ستة عشر باشا . ويقول المؤلف « صنف بخراسان » يعنى انه نقل هذا المخطط عن كتاب وضع في خراسان .

اللوحة ٢ : « ميدان حلزون هندى صنف في الهند » ، وهو أيضا مخطط لتعبئة الجيش استعدادا للمعركة ، نقله مؤلف المخطوط عن كتاب وضع في الهند .

وفي المخطوط رسوم مخططات مماثلة لتعبئة الجيش ، يظهر ان المؤلف قد نقل بعضها عن كتب أخرى تبحث في فنون القتال والفروسية ، وهذه المخططات مثل « ميدان الدر المنظوم فتوح انطاكية » أو « ميدان حلزون مربع تركي » ، أو « ميدان الكر والفر والدخول والخروج » ، أو « المجراة تصنيف العجم » ، وغير ذلك من مخططات وابواب .

اللوحة ٣ : « بتية منصوبة على قنداق » ، ويعنى البرميل المنصوب على حامل . وهو للتدريب على اصابة الهدف بالسهم ، بان يعمل ثقبا في مقدمة البرميل ، ويطلق عليه السهم ليدخل في الثقب .

اللوحة ٤ : نصال وقوس وسهام من أنواع مختلفة ، شرح المؤلف طرق صناعتها ، وفائدة كل منها .

اللوحة ٥ : التدريب على اصابة الهدف بالرمح . والهدف هنا هو برميل (بتية) موضوع على حامل (قنداق) والفارس يحاول اصابة ثقب في الهدف برمح في يده .

ونلاحظ أن ذيول الخيول تظهر معقودة فى جميع الصــور المنشــورة هنا ، وهى عادة كانت شائعة فى مصر فى عهد المماليك . كما نلاحظ فى هذه الصور نماذج من الزخارف المملوكية التى كانت تستعمل فى تزيين الملابس والأدوات الأخرى . وجميع المماليك الذين نراهم فى هذه الصور يلبسون على رءوسهم زموط (جمع زمط) والزمط لونه أحمر وله وبر طويل . اما الباش (الرئيس) فكان يلبس تخفيفة صغيرة (عمامة) . وكان المماليك يرتدون جلبابا قصيرا يصل الى الركبة ويسمونه « كبر » ، أو طويلا يصل الى القدمين لتمييز درجاتهم .

واغلب المماليك ملتحون ، واللحية هنــا تبين الفــارق فى السن بين الذين يتدربون على استعمال الأسلحة ، فمنهم الغلمان المرد ، ومنهم الكبار ذوى اللحية . ويقول ابن اياس ان الســلطان قانصــوه الغورى كانت له لحيــة مستديرة . (بدائع الزهــور ، تحقيق محمــد مصــطفى ، ج ٥ ص ٨٧) .

وكل هــذا يوضح لنــا مدى أهميــة المخطوط فى دراسة العناصر الزخرفية ، والأسلوب الفنى ، فى مصر فى أواخر عصر المماليك الجراكسة ، والملابس والأزياء التى كان يرتديها المماليك ، والاســلحة والادوات التى كانوا يستعملونها ، الى جانب العادات والتقاليد الاجتماعية ، والمفردات والمصطلحات الفنية واللغوية الواردة فيه ، وغير ذلك من شئون .

اللوحة ٦ : رمى الفارس عن الفرس برمح فيه ثقب يربط فيه خيط وثيق فى نهايته كلاب ، يرمى فى طوق الفارس ، ليحمله ويقــع من الفرس على الارض .

وموضوع هذه الصــــور يؤيد تاريخنا لهــذا المخطوط بأواخر عصر المماليك الجراكسة ، اذ يظهر أن هذا النوع من السلاح لم يكن مألوفا لابن اياس مؤرخ هذا العصر ، فهو يصف دخول الجنود العثمانيين الى الشــام ومصر ، وماكان معهم من أسلحة مختلفة الأنواع ، فيقــول انه كان معهم رماح بكلاليب حديد اذا قربوا من الفارس اختطفوه من على فرسه والقوة على الأرض . (بدائع الزهــور ، تحقيق محمــد مصطفى ، ج ٥ ص ١٣١ س ١ و ٦) .

اللوحة ٧ : فارسان يتصارعان ويحاول كل منهما أن يرمى الآخر عن فرسه . ونرى أن رمحيهما قد سقطا على الارض ، وأن كلا من الفارسين يمسك بذراعى الآخر وينظر اليه فى تحد واضح ، وهو يحاول أن يرميه عن فرسه . ويقول مؤلف المخطوط : وهذا فن لا بد للفــارس من تعليمــه ، فالمقــابلة أول النزاع ، ثم يصف طريقــة هــذا النــوع من المصــارعة على الخيل .

اللوحة ٨ : النفطية . يصف مؤلف المخطوط طرق استعمال النفط كسلاح ، والملابس التى كان النفطية يرتدونها ، والرماح التى كانو يضربون بها . والنار التى كانوا يوقدونها فتجعل خيول عساكر العدو تهرب فينهزم جيش العدو ، والسهام النارية التى كانوا يطلقونهـا على المراكب فتحرقها .

والمعروف أن المماليك كانوا يتركون الأسلحة النارية للجنود من التراكمة والمغاربة ومن العبيد السود ، ويشير ابن اياس الى ذلك فى مناسبات مختلفة . (انظر على سبيل المثال : بدائع الزهور ، تحقيق محمد مصطفى ، ج ٣ ص ٣٤٣ و ج ٥ ص ٨١ و ١٠٣ و ١٣١ » .

اللوحة ٩ : لعب المطرق (التحطيب) وقواعده . ويوضح مؤلف المخطوط هذا الباب بصور للاعبين وهم وقوف على الارض أو يركبون الخيل .

اللوحة ١٠ : ضرب السيف فى الطين ليتدرب الملوك على قوة الضرب . وهنا يصف مؤلف المخطوط السيوف واوزانها ، وطريقة الضرب على لوح من الخشب توضع عليه كومة من الطين الرملى .

والأوزان التى يستعملهـا المؤلف فى المناسبات المختلفة فى أبواب المخطوط ، هى بالرطل المصرى ، مما يؤيد أن هذا المخطوط كتب فى مصر .

اللوحة ١١ : التدريب على القتال بالرمح ، ونرى هنا فارسين ، يحمل كل منهما رمحا فى طرفه كرة ، حتى لا يصيب زميله بجرح اذا طعنه بالرمح .

اللوحة ١٢ : فارس يتدرب على الطعن بالرمح ، ونرى أمام الفارس « شخص » فارس آخر من خشب ، يركب على جواد يقف على حامل (قنداق) متحرك ، ويرفع فى يده دبوسا ، حتى اذا أخطأ الفارس فى الطعن ضربه الشخص بالدبوس ، ولذلك فاننا نلاحظ أن الفارس ينظر ألى الشخص فى انتباه واضح .

اللوحة ١٣ : طريقة عمل دبوس اذا ضرب الفارس به خوذة كسرها وهنا نقرأ فى المخطوط صفة هذا الدبوس والخامات التى يصنع منها . ونلاحظ ان الدبوس هنا لم يكسر الخوذة ، بل انه فصل الرأس عن الجسد .

اللوحة ١٤ : رمى القبق من على الفرس وهو سائق . وفى هذه الصورة فارسان يعدوان بجواديهما ، ويحاول كل منهما اصابة هدف ، مرفوع على حامل طويل ، بأن يطلق عليه سهما من قوس فى يده .

اللوحتان ١٥ و ١٦ هما صفحتان من هذا المخطوط كانتا فى مجموعة السيد / يعقوب أشيروف فى باريس .

اللوحة ١٥ : صفحة كاملة من المخطوط عليها صورة مملوكين يتدربان على استعمال القوس والسهم ، الأيمن منهما يمسك بسهم وقوس ، ويخطو الى الأمام ، بينما جلس الآخر أمامه الى اليسار ، وهو يشير بيده كأنه يتفهم بعض التعليمات .

اللوحة ١٦ : صفحة كاملة من المخطوط عليها صورة مملوكين يتدربان على اصابة الهدف بالسهم والقوس ، الأيمن منهما يقف على الأرض ، والآخر يركب فرسا ، وبينهما سهام مشكوكة فى حامل .

اللوحة ١٧ : رسم لمملوك يلبس على رأسه زمطا له وبر طويل ، رسمه الرحالة أرنولد فون هارف ، كما رآه فى القاهرة عند زيارته لها فى سنة ١٤٩٧ . نقلا عن كتاب *Die Pilgerfahrt*, S. 104.

اللوحة ١٨ : صورة السلطان قانصوه الغورى يستقبل بعثة من مدينة البندقية ، جاءت فى سنة ١٥١٢ ، وقد وقف المماليك وهم يلبسون الزموط على رءوسهم ، كما رآهم ورسمهم أحد المصورين من مدرسة جنتيلى بللينى وهذه الصورة محفوظة فى متحف اللوفر بباريس .

اللوحة ١٩ : زمط له وبر طويل ، محفوظ فى المتحف القبطى بالقاهرة.
نقلا عن : L.A. Mayer, *Mamluk Costume*, p. 33, pl. XI, 2.

اللوحة ٢٠ : مدفع عليه اسم السلطان الأشرف ابو النصر قايتباى (١٤٦٨ — ١٤٩٥) ، محفوظ فى المتحف الحربى باستانبول . الطول ١٢٠ سم . نقلا عن كتاب : D. Ayalon, *Gunpowder* :

PLATE I

اللوحة ١

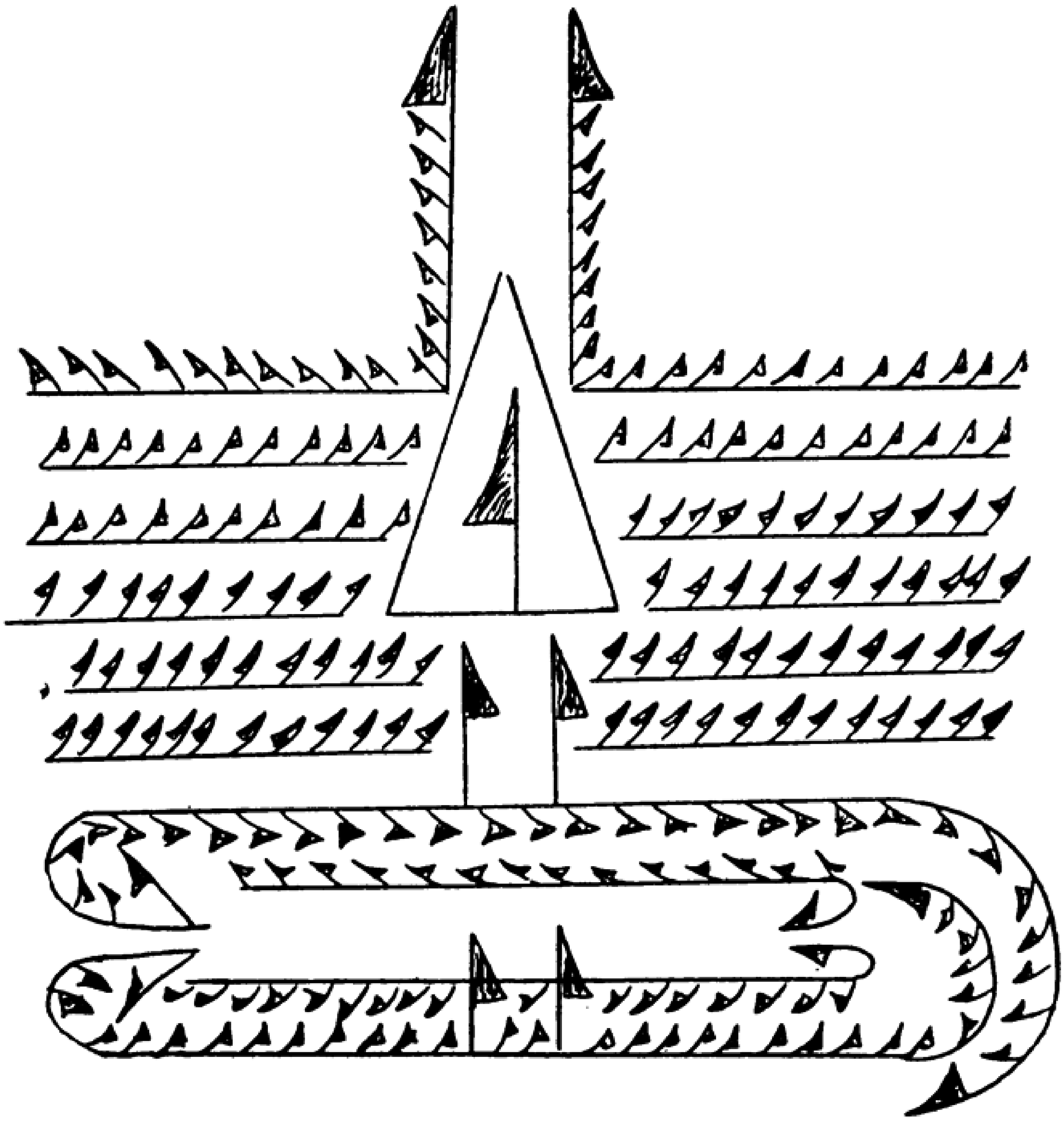

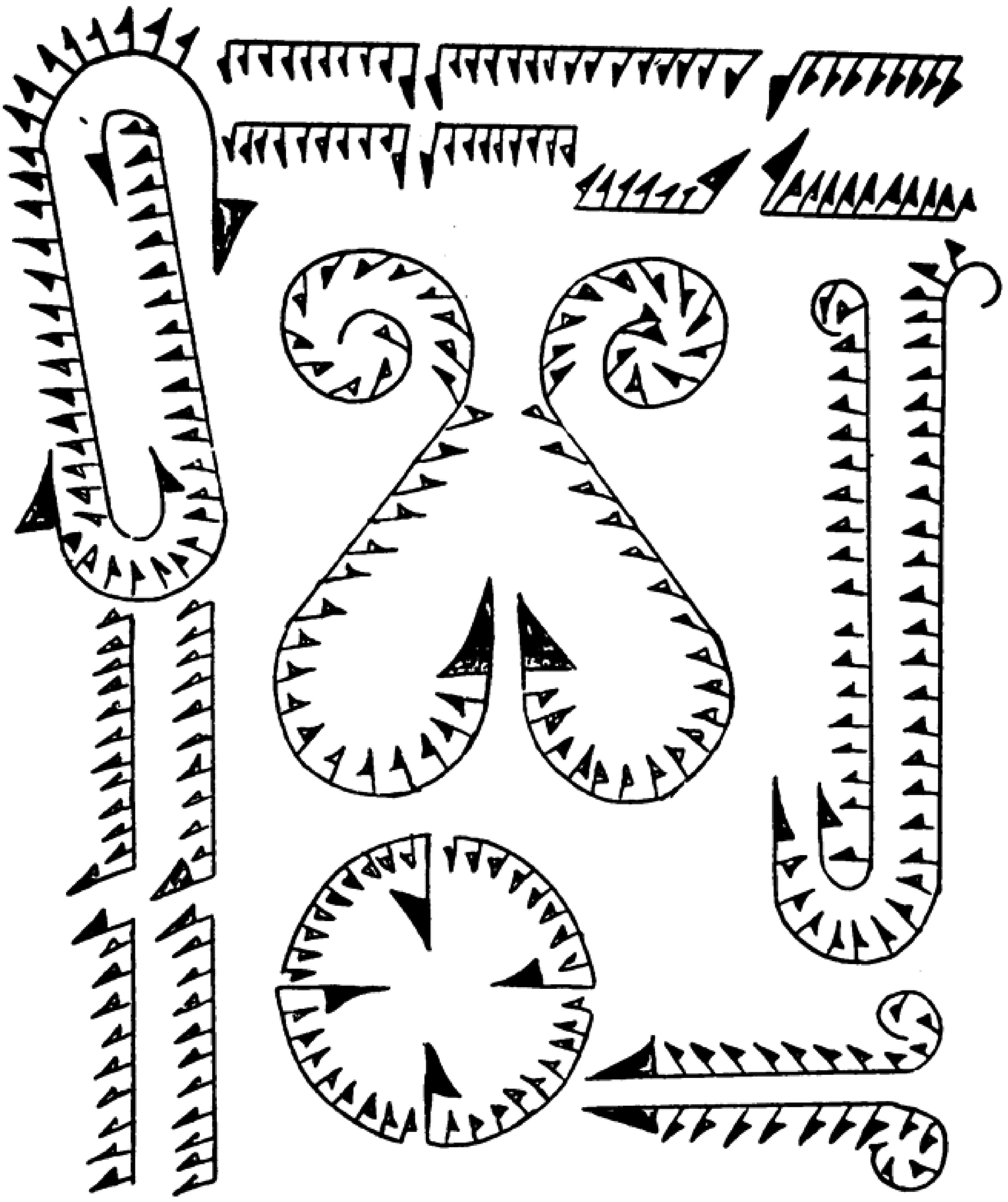

PLATE III

اللوحة ٣

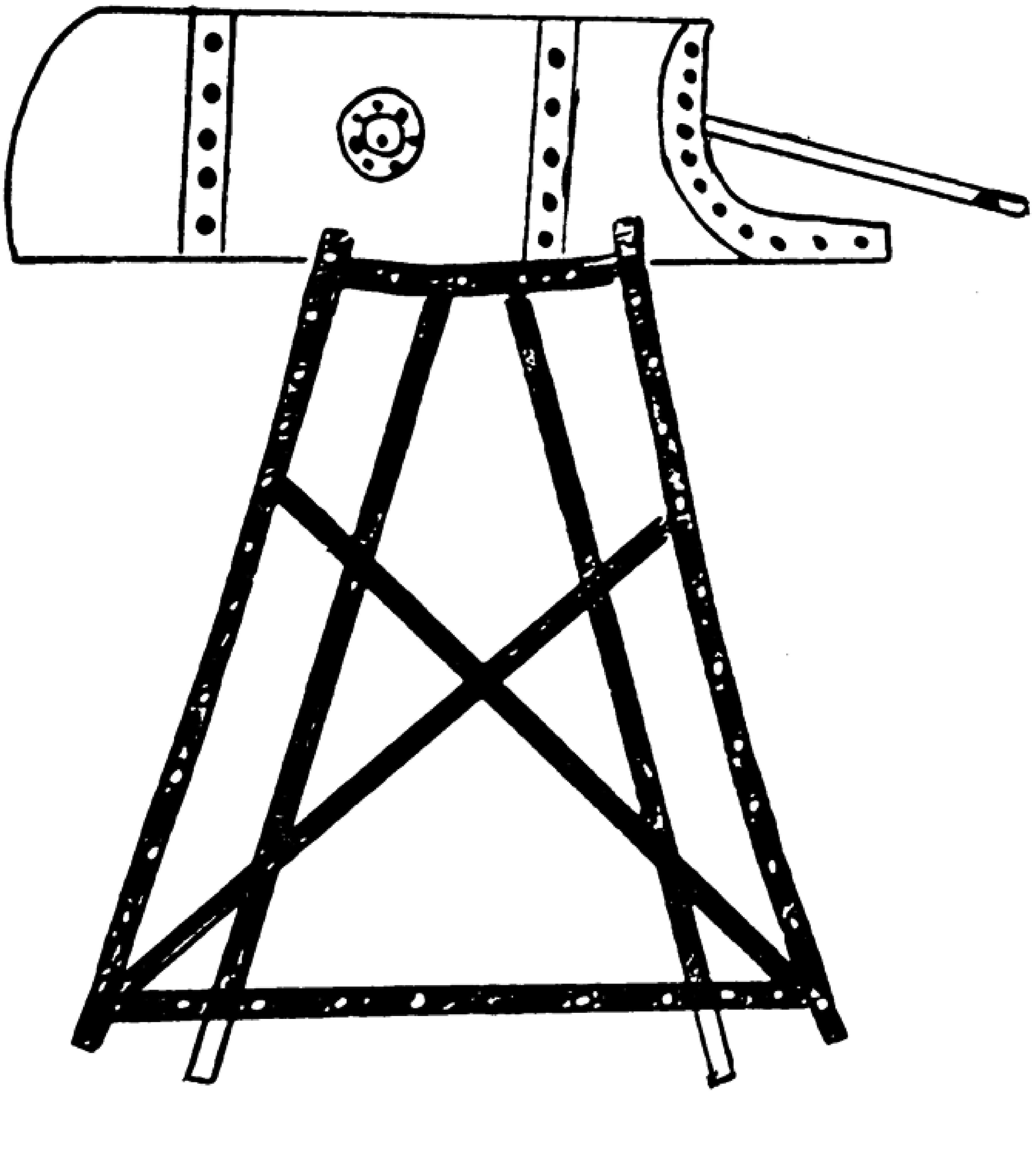

PLATE IV   اللوحة ٤

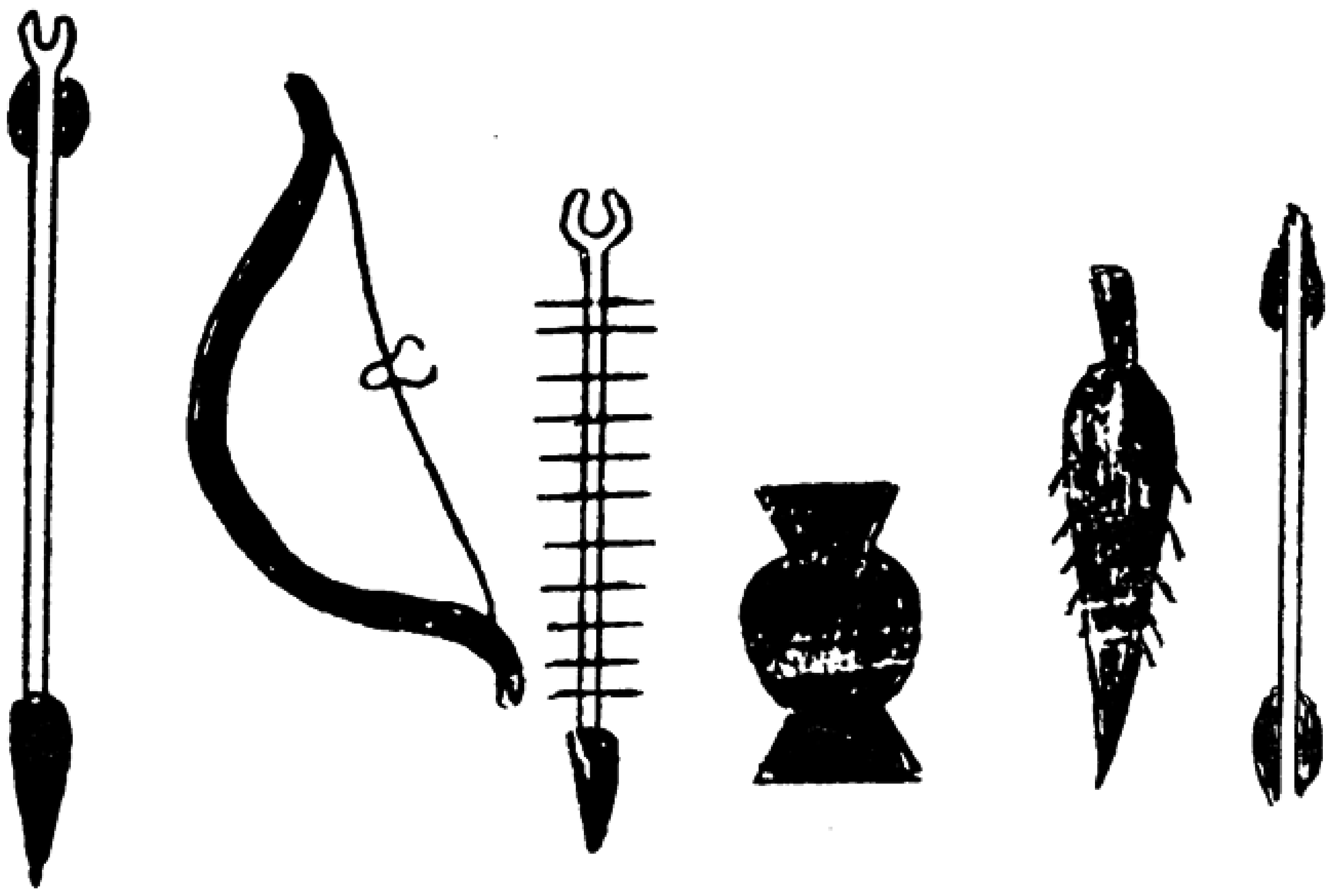

PLATE V

اللوحة ٥

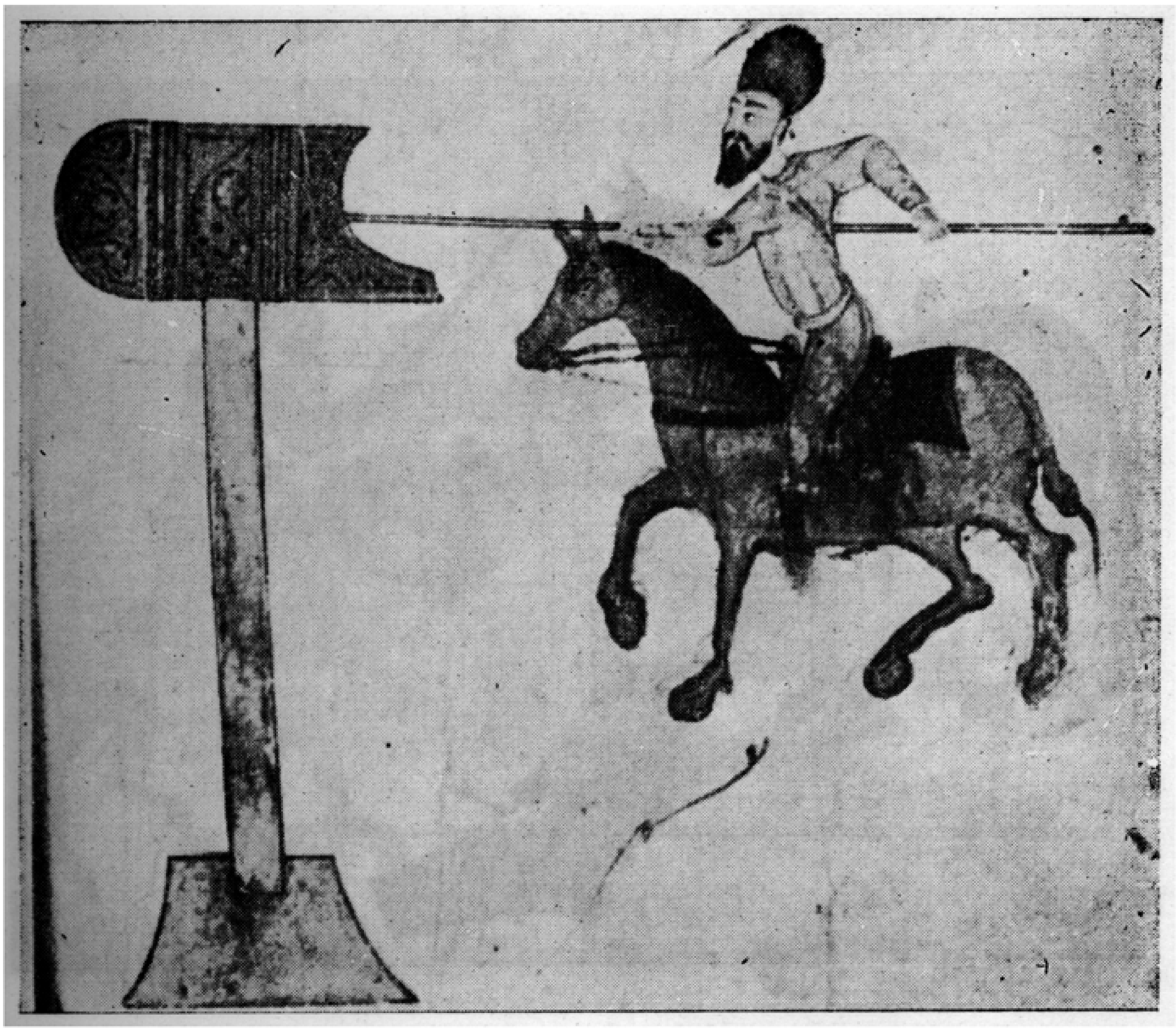

PLATE VI

اللوحة ٦

PLATE VII

اللوحة ٧

ولا تلعب إلا بمخلص وإياك من خروج الترس
باب لعب المطرق ومناصبه
اعلم وفقك الله أن هذه الصور هي قواعد المطرق

PLATE X اللوحة ١٠

PLATE XI

اللوحة ١١

PLATE XII اللوحة ١٢

PLATE XIII

اللوحة ١٣

PLATE XIV

اللوحة ١٤

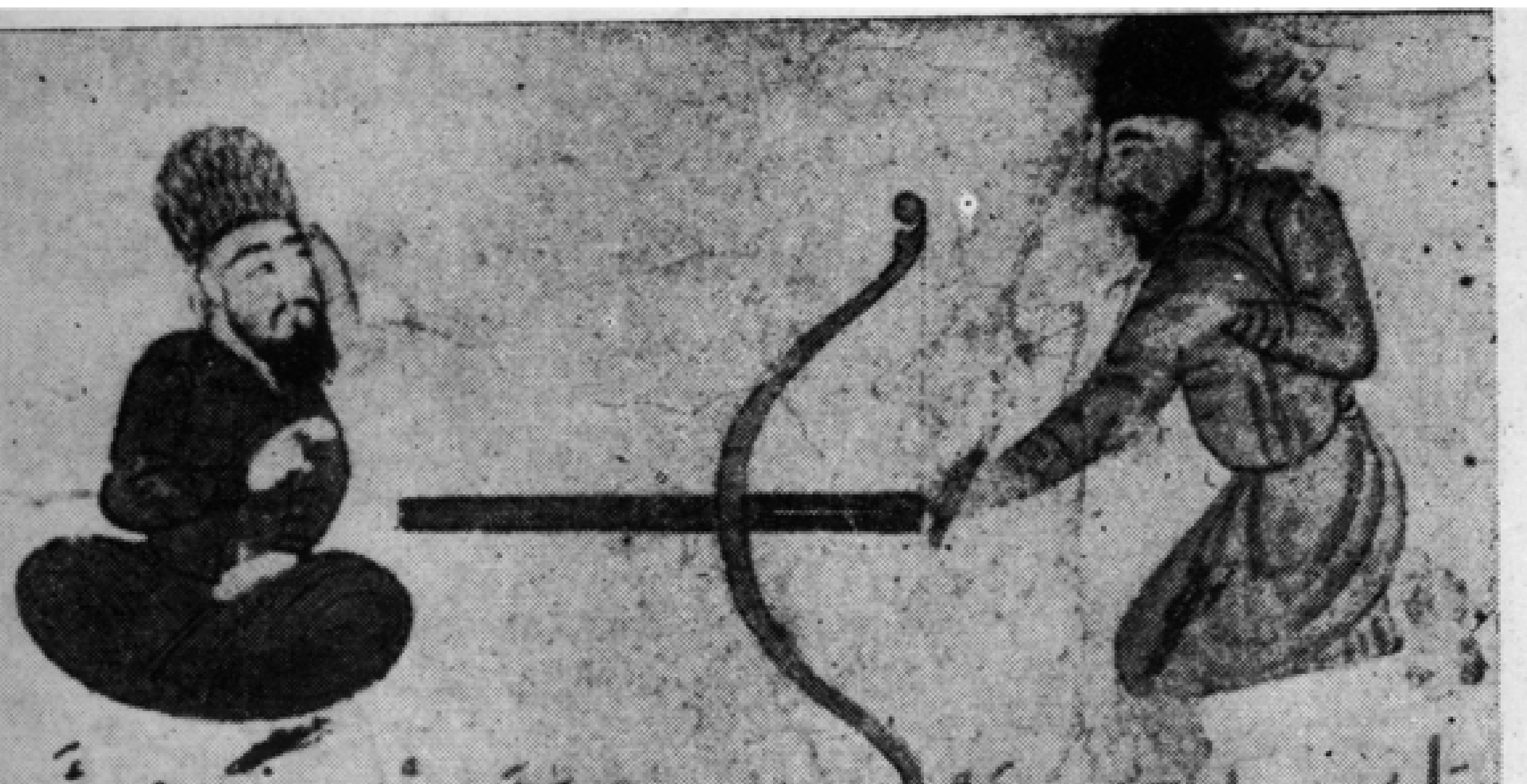

باب الرمي بقوس الرجل على الفرس وهو أن
يركب الفرس ويأخذ قوس الرجل بيده وتكون في
رقبته إلى بين إبطيه الأيمن سير معمول فيه كلاب
الذي يشيلوا به الوتر إلى الجوزة وينحني من السرج
إلى الركاب ويشيل الوتر إلى الجوزة ويكون السهم
في طرفيه من وراء نسوق وترمي مكبوب يمسكه السهم
بإصبعه الشهادة على القوس ويقلب القوس فإذا وصل
إلى العلامة أرمي وخرج فإذا خرج عن العلامة يفلت
الرمي أرمي القوس من يده إلى فوق وتلقفه من عند
المفتاح وفتله على شلتين ثلاثة ويدخل بيده بين الوتر
والقوس ويأخذه على كتفه ويقمط عنان الفرس في
ويشد عنان في سوقه [illegible] عنانه في [illegible] وسطه فإذا

فإذا فعل ذلك عند العنان بيده من ... ويعطف
أسماء الأنداب عين وشارب وواجن نظر وشرندي
ومحول ومقلوب ومبنون ومن القصاد فالشارب هو الأصل
والشرندي والإهرماه الضيقة والمقلوب لرمي القلاع
والجبال والمكانات العالية والله المؤيد بنصره لمن يشاء

... بات أوزان القسي ومعرفتها وهو أنك تعلق القوس
من قبضته وتحط الكان في الوتر وتعلق في الوتر
الأثقال إلى أن يستوي في السهم القبضة ثم انظر كم

PLATE XVII اللوحة ١٧

PLATE XVIII

اللوحة ١٨

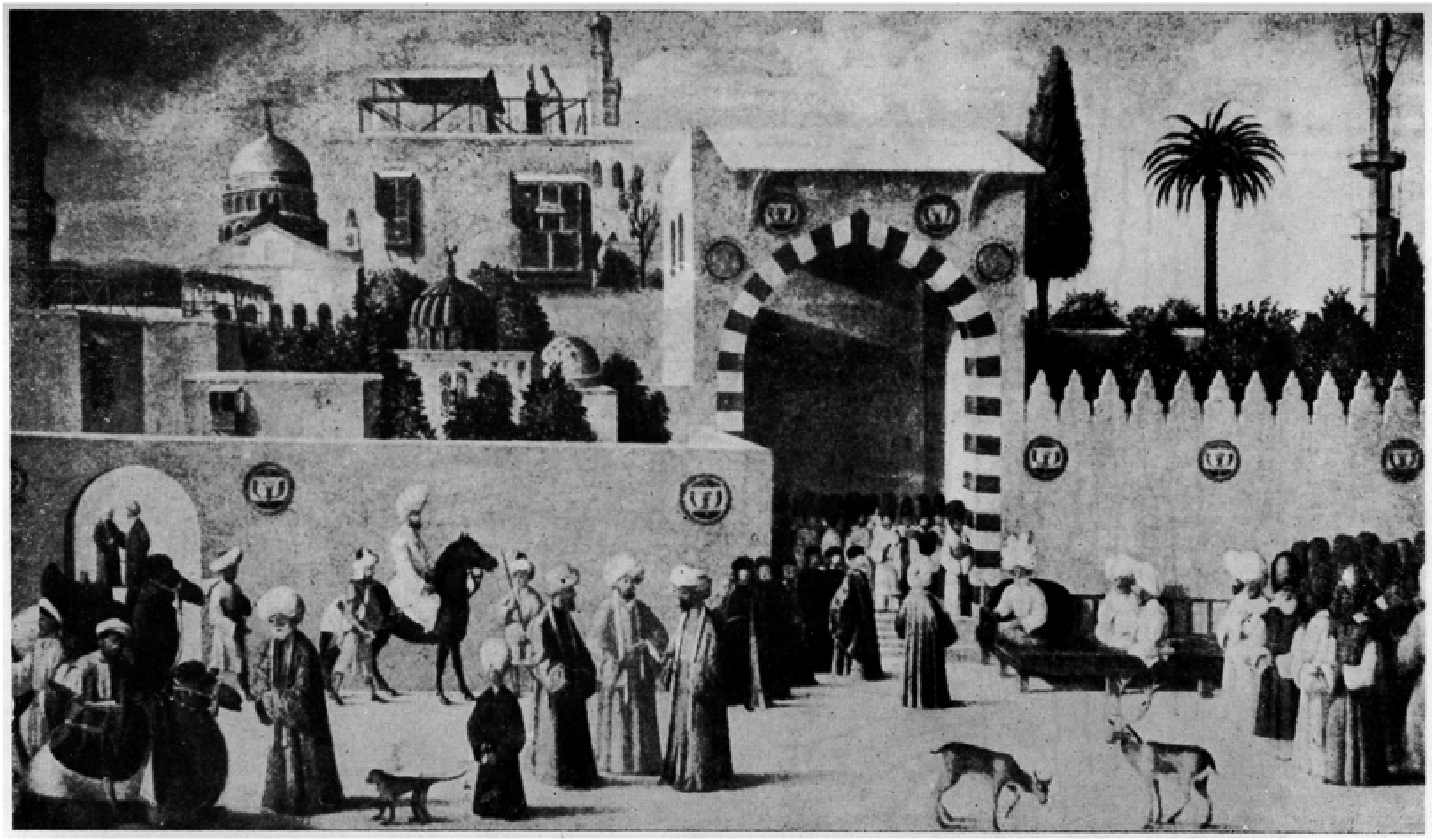

PLATE XIX اللوحة ١٩

PLATE XX
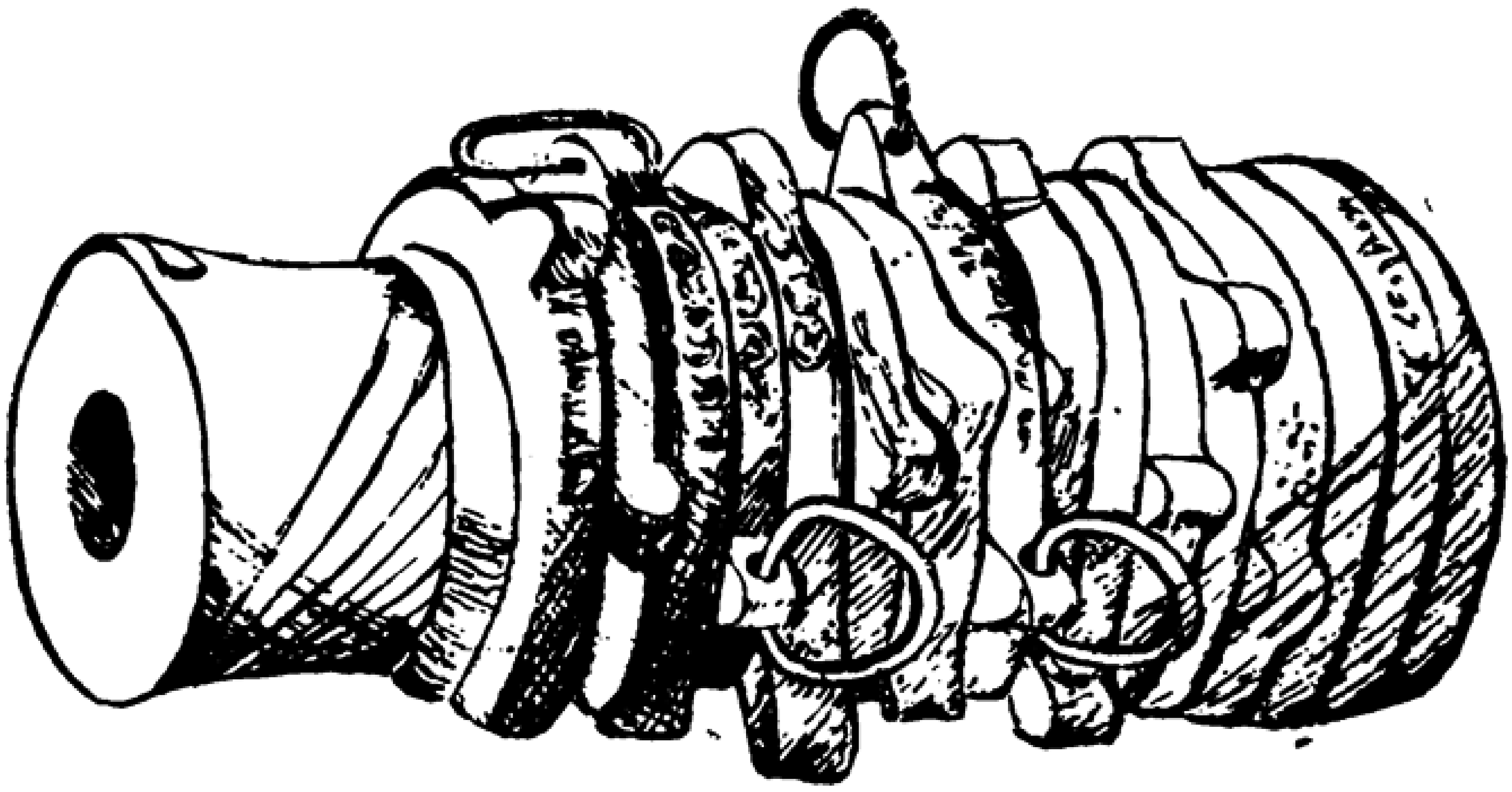
اللوحة ٢٠